المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
ISSN: 2437 – 1181
EISSN:2710-8139

المجلد 09 / العدد 01 : (2022) ، ص – ص 306 ، 326

تطور نماذج الاتصال – من النموذج الخطي إلى نموذج الاندماج الاتصالي–

Evolution of communication models
From the linear model to the communicative integration model

حفيظة بوزيدي*

كلية علوم الاعلام والاتصال جامعة الجزائر 3 ، b.hafidha@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/12/13 تاريخ القبول: 2022/02/08 تاريخ النشر: 2022/03/31

DOI : 10.53284/2120-009-001-019

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على كيفية تطور نماذج الاتصال من النموذج الخطي الذي يعتمد على فكرة التأثير السحري ويعتبر الجمهور عنصر سلبي في العملية الاتصالية، إلى النموذج الدائري الذي حوّل مفهوم التأثير إلى الأثر واعتبر المستقبل عنصر إيجابي بفضل التفاعلية. إلى نموذج الاندماج الاتصالي الذي ركزت عليه هذه الدراسة. وركزت على عوامل ظهوره وأهم عناصره ووظائفه

يعطي نموذج الاندماج الاتصالي تفسيرا جديدا للعلاقة بين مختلف عناصر العملية الاتصالية ذات الطابع الاندماجي، وقد ارتبط بصفة كبيرة بالسرعة في بث واستقبال الرسائل، إذ كلما زادت هذه السرعة زادت نسبة الاندماج، ويعتمد على العديد من الأسس التي ظهرت في شكل مصطلحات جديدة لم يظهر معظمها في النماذج السابقة مثل: المجال العام، المجال الخاص، الزمن، سرعة الاتصال، الاتصال الشبكي، المحتوى الشبكي التواصلي، شبكات التواصل الاجتماعي، ويُمثل المستخدِم حسب هذا النموذج العنصر الجوهري ونقطة التقاطع لاندماج مختلف عناصر العملية الاتصالية، عادت انعكاسات هذا النموذج على جميع المستويات الاتصالية والاجتماعية، والأكاديمية، وغيرها، لذلك توجب على الباحثين في حقل علوم الاعلام والاتصال إثارة دراسات تفسيرية جديدة تعتمد على مناهج وأدوات تتماشى والتوليفة الاتصالية الراهنة، تختلف عن تلك التي طالما اعتمدها البحث العلمي في الميدان.

الكلمات مفتاحية: **الاتصال، نماذج الاتصال الكلاسيكية، نموذج الاندماج الاتصالي، تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الحديثة، شبكات التواصل الاجتماعي**

Abstract

This study tends to identify how communication models shifted from a linear model that relies on the idea of magical effect, to the circular one that considers the audience as a positive element, to interactionism within the communication integration model, which is the study focal point. In this regard, the emphasis is on its appearance, its most important elements, as well as its functions.

In this vein, This model gives a new insight into the correlation between the various elements of the communication process of a blended nature and has been extensively associated with the speed with which messages are transmitted and received, as the faster the integration level increases, and counts on many of the foundations that have appeared in the form of new terms, most of which have not been found in previous models

In brief, researchers in the field of information and communication sciences have to provoke new interpretive studies based on approaches and tools in line with the current communication mandate, different from past studies.

Keywords: Communication, classic communication models, communicative integration model, modern communication and information technology, social networks.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

ازدادت أهمية الاتصال في العصر الحالي بصفة كبيرة، وتنوعت تقانته ووسائله وتكاثرت في كل المجتمعات، وتشعبت مجالاته، وتخصصاته، إذ يحظى بمكانة ضرورية على جميع أصعدة الحياة، حيث يعتبر العامل الحتمي في وصول الحضارة الانسانية إلى ما وصلت إليه الآن، وما يمكن أن تصل له مستقبلا، بل وأحد مقوماتها الضرورية، وبفضله تتقوى العلاقات بين الأفراد والجماعات. (بن زعموش، 2008، صفحة 248)

وانطلاقا من هذه الأهمية الحتمية للاتصال نمت وتطورت العديد من الدراسات التي تهتم به منذ وقت طويل، بل وحتى قبل ظهور علوم الاعلام والاتصال كميدان علمي مستقل، وتباينت تلك الدراسات من التركيز عن الوسيلة إلى التركيز عن التأثير أو الأثر إلى التركيز عن الرسالة، أو الجمهور وغيرها من عناصر العملية الاتصالية؛

وتعتبر نماذج العملية الاتصالية واحدة من المواضيع الجوهرية التي تناولها مؤسسي أدبيات علوم الاعلام والاتصال، الذين اجتهدوا في تحديد عناصر الاتصال ونماذجه.

-هذه الأخيرة التي عرفت اختلفا في تحديد مفهومها وخصائصها من باحث إلى آخر حسب البيئة الاتصالية وخصائص عناصر العملية الاتصالية، وحسب تطورات الحقب الاتصالية من عصر الاتصال الشفهي وصولا إلى الاتصال الرقمي وعصر تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الحديثة الذي ميزته الأنترنيت وما توفره من اتصال شبكي، ومواقع للتواصل الاجتماعي، وتفاعلية وآنية في الارسال والاستقبال، وعليه، فإنه من المؤكد أن عناصر العملية الاتصالية عرفت العديد من التغيرات ، نتيجة لتطور الاتصال كما أسلفنا الذكر وتطور وسائله وتقنياته التي تشهد تحولات كبيرة في كل مرة أثّر ت لا محال على عناصر العملية الاتصالية، وطبيعتها وطبيعة العلاقة فيما بينها، ونمط سير الرسالة، وتموقع كل عنصر من عناصرها.

وهذا ما أثر على الاتصال في حد ذاته، ورسم معالم جديدة لنماذج جديدة تتماشى والتحولات السابقة الذكر، ومن هنا ستكون انطلاقة الإشكال في هذه الورقة التي تحاول البحث في تطور العملية الاتصالية وطبيعة العلاقة بين عناصرها التي تشكل في كل مرة نموذجا اتصاليا ترسم خطوطه العريضة تلك العلاقة، عبر مختلف المراحل الاتصالية عموما، وفي عصر تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الحديثة خصوصا، وعليه سوف نحاول الإجابة من خلال هذه الدراسة عن السؤال الجوهري التالي: كيف تطور النموذج الاتصالي انطلاقا من مختلف التحولات التي عرفها الاتصال وعرفتها عناصر العملية الاتصالية خاصة في عصر تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الحديثة؟

أهمية الدراسة

تكتسي هذه الدراسة أهمية كبيرة إذ يمكننا تصنيفها ضمن الأدبيات أو التأسيسات النظرية في علوم الاعلام والاتصال، حيث حاولت رصد مختلف النماذج الاتصالية وأهم المراحل التفسيرية للعملية الاتصالية، مع المصطلحات التي ميزت كل

مرحلة. كما ركزت على نموذج الاندماج الاتصالي، الذي يحاول تفسير علاقة مختلف عناصر العملية الاتصالية في إطار بيئة اتصالية جديدة فرضها التطور الكبير في تكنولوجيات الاتصال المعلومات .

أهداف الدراسة:

-رصد مختلف نماذج الاتصال.

- التعرف على أهم مصطلحات كل نموذج اتصالي، وكل مرحلة تفسيرية للعلاقة بين مختلف ناصر العملية الاتصالية.

-التعرف على حيثيات نموذج الاندماج الاتصالي الجديد وعوامل ظهوره، وأسسه، ووظائفه.

- تبرير ضرورة الانتقال إلى مرحلة جديدة من الدراسات التفسيرية التي فرضها التطور في ميدان الاتصال والمعلومات.

أهم مصطلحات الدراسة

النموذج: "يمثل النموذج أداة تصويرية توفر إطارا للافتراضات تحدد في نطاقه المتغيرات المهمة، ويفترض علاقات معينة بين الأحداث التي يتم دراستها، وهو يقترب من النظرية من جانب وقريب من المفهوم الإجرائي الذي يستمد قيمته بالدرجة الأولى من قابليته الإجرائية، أي قدرته على منح فرصة للفهم والتحليل" (السعدي، 2019، صفحة 339)

النموذج الاتصالي: هو محاولة تصوير وافتراض العلاقة بين مختلف عناصر العملية الاتصالية.

النموذج الاتصالي الكلاسيكي: هو النموذج الخطي في علوم الاعلام والاتصال والذي يعطي تفسيرا مبسطا للعملية الاتصالية، مفاده تأثير المرسِل بطريقة سحرية عن المستقبِل الذي يعتبر عنصر سلبي في العملية الاتصالية، ويعنبر دلوا يحوي كل ما يتعرض له من رسائل إعلامية، ويتأثر كل أفراد الجمهور حسب هذا النموذج بنفس المستوى.

النموذج الاتصالي الدائري: ويسمى كذلك النموذج الاتصالي التكاملي أو التبادلي، وهو يفسر العملية الاتصالية انطلاقا من تبادل الأدوار بين المرسال والمستقبل في توليفة تفاعلية.

نموذج الاندماج الاتصالي: يعطي تفسيرا جديدا للعلاقة بين مختلف عناصر العملية الاتصالية ذات الطابع الاندماجي، وقد ارتبط بصفة كبيرة بالسرعة في بث واستقبال الرسائل إذ كلما زادت هذه السرعة زادت وتعززت نسبة الاندماج، ويعتمد هذا النموذج على العديد من الأسس التي ظهرت في شكل مصطلحات جديدة لم يظهر معظمها في النماذج السابقة مثل: المجال العام، المجال الخاص، الزمن، سرعة الاتصال، الاتصال الشبكي، المحتوى الشبكي التواصلي، شبكات التواصل الاجتماعي

2. مفهوم الاتصال وأهم مراحل تطوره

2.1 مفهوم الاتصال

تعددت تعاريف الاتصال وتباينت من باحث إلى آخر، ومن مدرسة إلى أخرى، كما تناول هذا المفهوم العديد من العلماء والباحثين من زوايا متنوعة، كل حسب اختصاصه، وحسب مدرسته بغزارة لا يمكن حصرها، لكن يعود أصل الكلمة في لفظها الانجليزي communication إلى الأصل اللاتيني communie، الذي يحمل معاني: عام شائع مشترك، يشارك، وتعني أيضا خلق جو من الألفة والاتفاق بين الأفراد والجماعات والمجتمعات والتعاون في مجالات الحياة ككل.

وتحمل كلمة "الاتصال" المعاني ذاتها في اللّغة العربية، فبالرغم من تعدد المعاني التي يقدمها المنظور للجذر اللغوي (و.ص.ل) التي تتجاوز ستين معنى، إلا أنها جميعا تكاد لا تخرج عن معاني: (التآلف، والتشارك، والامتداد، والانتماء، والشيوع، والإبلاغ، فالوصل: ضد الهجران، وخلاف الفصل، التواصل ضد التصارم، واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع، ووصّله إليه وأوصله: أنهاه إليه وأبلغه إياه)، (الموسى، 2010، صفحة 140/80/21)

هذا إضافة إلى العديد من التعاريف منها البسيط ومنها المركب والمتشعب، أبسطها التعريفين التاليين:

1- «الاتصال هو نقل الرسائل من موقع إلى آخر" وهذا التعريف يصف الاتصال بأنه عملية تقوم على نقل رسالة من مرسل إلى مستقبل».

2- «الاتصال هو نقل المعلومة من مرسل باتجاه مستقبل»، (Bertrand, p. 05) هذا التعريف بسيط هو الآخر ويحمل نفس المعنى للتعريف الذي سبقه.

كما تشير كلمة الاتصال إلى: «نقل الاشارات والرموز بين الأشخاص» (العتيبي، 2000، صفحة 13)

ومن بين التعاريف المتشعبة والمركبة نوعا ما، نجد تعريف الباحث "**دومينيك ولطون**" Wolton Dominique حيث يقول: «أن التواصل يخلط بشكل أكيد بين القيم والمصالح، والأفكار والمبادئ، ولا شيء يضمن، خصوصا في مرحلة انتصاره التقني والاقتصادي أن تطبق قواعد الاتصال غدا كما تمارس اليوم. فكيف السبيل إلى تلخيص بعد التواصل الإنساني وماهيته الرائعة في حين أن كل شيء يتجه بالعكس نحوى المصالح وحدها؟»؛ ثم يواصل طرحه بقوله: «مما يصعّب الأمر أن كلمة الاتصال هي كلمة ذات أصول ودلالات عديدة من الصعب السيطرة عليها، فهي تبعث إلى معاني كثيرة، خصوصا في المجتمع الحديث حيث الانفتاح والتبادل والتواصل، وهي في قلب التجربة الفردية والجماعية أكثر من الإعلام أو الحرية الديمقراطية، أو الهوية الثقافية أو غيرها».

وعليه فإن الاتصال في جوهره هو عملية مشاركة في الأفكار والمعلومات، إذ أنه العملية التي يتفاعل بمقتضاها مستقبل ومرسل، في مضامين اجتماعية معينة، وفي هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات بين الأفراد عن قضية معينة، أو معنى مجرد، أو واقع معين، فنحن حينما نتصل نحاول أن نشرك الآخرين ونشترك معهم في المعلومات والأفكار، فالاتصال يقوم على مشاركة المعلومات والصور الذهنية والآراء. (علم الدين، 1990، صفحة 6)

وحسب بعض الباحثين فإنه توجد ثلاثة معاني للاتصال وهي كالآتي: الاتصال المباشر، الاتصال التقني، الاتصال الاجتماعي:

1-إن الاتصال قبل كل شيء هو تجربة أنثروبولوجية أساسية، فالتواصل بالغريزة يعني التبادل مع الآخر، وبكل بساطة ليس هناك حياة فردية أو جماعية بدون اتصال، ومن خاصية كل تجربة شخصية، وكل مجتمع أن يحدد لنفسه قواعد الاتصال فيه، فلا وجود لمجتمع بدون اتصال، فالاتصال يعني النقل وأيضا التفاعل مع فرد أو جماعة.

2-الاتصال هو أيضا مجموعة التقنيات التي خرقت خلال قرن شرط الاتصال المباشر التقليدية لتستبدله بحكم الاتصال عن بعد عبر الوسائط التقنية المعروفة: التلفزيون، الهاتف بأنواعه، المذياع، الحاسوب، شبكة الأنترنيت، الرسائل الرقمية، إلخ...فالتقدم كان هائلا والتطورات مدهشة، حتى أن التواصل المباشر بين طرف من العالم وطرف آخر، بواسطة الصورة أو الصوت، أو المعلومة أصبح ممكنا وسهلا وغير مكلف السعر، وبمعنى آخر لم يعد مقتصرا على الدول الغنية.

3-لقد أصبح الاتصال حاجة اجتماعية عملية بالنسبة للدول النامية والدول المتطورة على حد السواء، فمنذ أن أصبح النموذج المهيمن هو نموذج الانفتاح، على كل الأصعدة فإن تقنيات الاتصال تؤدي دورا إيجابيا وضروريا. (قبايلي، 2010، صفحة 31)

وتزايد حاجة المجتمعات إلى الاتصال، والتغييرات التي يحدثها الاتصال في المجتمعات ما هو إلا استجابة لمنطق التاريخ، إذ يتحدث "**مارشال ماكلوهان**" عن الأثر الذي صاحب اختراع الأبجدية في الثورة الاتصالية الأولى، حيث يرى أن اختراع الأبجدية الصوتية ليس إلا "تكنولوجيا فريدة من نوعها" ويضيف أن استعمالها كان يعني "القوة والسلطة والسيطرة على المواقع العسكرية من بعيد"، بينما استعمال الأبجدية مع ورق البردي أدى إلى إنهاء سيطرة كهنة المعبد، بينما "**هارولد أنيس**" فيرى أن تأثير المطبعة كان واضحا في العديد من الميادين، وأهمها استبدال مبدأ القوة بمبدأ القانون؛

هذه الأقوال تبين أنه حيثما تم استخدام تكنولوجيا الاتصال الجديدة كلما ظهرت تحولات اجتماعية، تؤدي في النهاية إلى كسر احتكار المعلومات والمعارف وتعزيز انتشارها وشيوعها بين مختلف أفراد المجتمع، وما يميز عصرنا الحالي عن العصور الاتصالية السابقة هو تطور وتطوير تقانة اتصالية متفردة، فهي رقمية، وتبادلية، ومرتبطة ببعضها، وهذا ما سوف يعزز من أثرها على مختلف المجتمعات. (النجار، 2009، صفحة 506)

2.2 مراحل تطور الاتصال

مرّ الاتصال بمراحل عديدة تماشيا مع تطور وسائل وتقنيات الاتصال لكل حقبة تاريخية، مؤثرا بصفة مباشرة عن العملية الاتصالية ومختلف عناصرها سوآءا على مستوى الخائص أو على مستوى العلاقة فيما بينها، وقد كانت أبرز محطات تطور الاتصال كما يلي:

- الاتصال الشفوي: في هذا النوع من الاتصال كانت اللّغة الشفوية هي لغة الاتصال السائدة في المجتمع البشري.

- الاتصال المكتوب: وذلك تزامنا مع الثورة الاتصالية الأولى واكتشاف الكتابة حوالي سنة 3000 قبل الميلاد، والطباعة في القرن 15 ظهر أو ما يسميه الباحثين بعهد الحضارات.

- الاتصال السمعي البصري: وذلك بعد اختراع الاذاعة سنة 1920، والتلفزيون سنة 1950،

- الاتصال التفاعلي: وهو مرحلة الثورة الاتصالية الثالثة، وذلك باختراع الحاسوب سنة 1960، وقد سجلت هذه المرحلة عودة النص (عزي، 2003، صفحة 22) في الاتصال.

الاتصال الرقمي أو الاتصال الالكتروني: والذي تزامن مع ظهور وانتشار التقنيات الالكترونية والرقمية للاتصال من جهة، وبظهور المجتمع الإلكتروني من جهة أخرى، وعليه أصبح الاتصال هو الآخر إلكترونيا، ومنه الإلكتروني على الخط on-line وذلك باستخدام الأنترنيت، والالكتروني خارج الخط Off-line وذلك باستخدام الأجهزة الالكترونية دون الأنترنيت مثل الحاسبات الالكترونية، ومختلف تقنيات تخزين واسترجاع المعلومات بصفة رقمية.

.

3. النماذج الكلاسيكية للاتصال

1.3 النموذج الخطي للاتصال:

لطالما شكل الاتصال مادة خصبة للبحث من طرف العديد من المفكرين والباحثين على اختلاف انتماءاتهم العلمية، سواء علم النفس أو علم الاجتماع أو العلوم السياسية أو غيرها من المجالات البحثية، وكل باحث خلص إلى مجموعة من العناصر التي تشكل العملية الاتصالية حسب دراساته وخبراته ومرجعيته النظرية، وحسب نوع الاتصال الذي درسه أو الذي كان سائدا في زمانه، اختلف هؤلاء الباحثين في بعض العناصر واتفقوا في أخرى؛

إذ انه ومنذ أن شكلت العملية الاتصالية موضوع دراسة اجتهد العديد من الباحثين على اختلاف أطيافهم الفكرية وفتراتهم الزمنية في إيجاد صيغة رسمية تحدد عناصر العملية الاتصالية، في دراسات تأسيسية فظهر ما يسمى بنماذج الاتصال، وقبل الحديث عن النماذج سنحاول التكلم عن أهم عناصر الاتصال في النقاط التالية:

عناصر الاتصال:

1-الرسالة: والمقصود بها المعنى أو الفكرة المراد نقلها من مرسل إلى مستقبل، وتتعدد أنماط الرسالة فقد تكون بين المكتوبة والمصورة والمسموعة وغيرها.

2-التشفير: وهو الترميز المناسب للتعبير عن الرسالة وقد يكون الترميز في شكل حروف، أو رموز مميزة لها دلالاتها الخاصة.

3-قناة أو وسيلة الرسالة: والمقصود بها الوسيلة التي تمر عبرها الرسالة للوصول إلى المرسل إليه مثل، الهاتف النقال، والانترنيت، والتلفاز وغيرها من المسائل سواء كانت تقليدية أو عصرية رقمية.

4-فك التشفير: وهي عملية ترجمة الشيفرات والرموز لفهم فحواها من أجل اكتمال أهداف العملية الاتصالية.

5-الضوضاء: والمقصود بها المشوشات التي قد تعيق وصول الرسالة أو فك شفرتها بالطريقة اللازمة، وقد تكون الضوضاء متعلقة بظروف مستقبل الرسالة وعجزه عن فك رموزها، أو متعلقة بالوسيلة في حد ذاتها، وكلما تواجدت الضوضاء كلما قلت فعالية الاتصال.

6-التغذية العكسية أو التغذية الراجعة: وهي رد فعل مستقبل الرسالة، وتمكّن من معرفة انطباعه حول الرسالة ومدى فهمه وإدراكه لها. (العلاق، 2010، صفحة 7)

وقد حاول العديد من الباحثين شرح عملية الاتصال من خلال بعض النماذج التي تهدف إلى توفير إطار يسمح بعزل عدد من المتغيرات أو العلاقات المؤثرة في العملية الاتصالية، ولطالما ارتبط ذلك بمختلف نظريات الاعلام والاتصال التي حاولت تفسير العملية الاتصالية وعلاقة مختلف عناصرها.

وبعمليه استقصاء بسيطة لتطور مقاربات دراسات الجمهور نجد أنه لطالما تطورت نماذج الاتصال تبعا لنتائج التأثير أو الأثر بالرسالة بين المرسل والمستقبل التي جاءت بها مختلف النظريات. فلكلما كانت نتائج الدراسات أو مبادئ النظريات ترى سلبية الجمهور المستقبل للرسائل الإعلامية وتأثره السلبي بها كلما ساد نموذج اتصالي خطي، وكلما كان العكس كلما اتجه النموذج الاتصالي إلى الشكل الدائري الذي مفاده أن مستقبل الرسالة يتأثر ويؤثر.

فقد ميز المرحلة الأولى من الدراسات جمهور وسائل الاعلام مصطلح "الأثر السحري" لوسائل الاعلام على الجمهور والذي ساد منذ العشرية الأولى للقرن العشرين.

حيث انتشر الحديث بقوة عن النموذج الخطي بعد الحرب العالمية الأولى، والمتمثل أساسا في نظرية الرصاصة السحرية، التي ترى أن الجمهور يتأثر بالرسائل الإعلامية بصفة مباشرة وسحرية، مما يجعل المرسل يحقق أهدافه لا محالة.

ومن أشهرها نموذج الباحث "**هارولد لاسوال**" " **Lasswel**" (1927)، والذي كان يرى أن للمرسل قوة كبيرة في التأثير بعقول الناس والتحكم في توجيههم، وبطريقة موحدة. (الديلمي، 2016، صفحة 167)

وقد صاغ نموذجه أو عناصر في شكل مجموعة من التساؤلات جاءت كالتالي:

من؟ يقول ماذا؟ بأي وسيلة؟ لمن؟ بأي تأثير؛ أي أن العملية الاتصالية حسب "**هارولد لاسوال**" " **Lasswel**" تتكون من العناصر التالية: المرسل، الرسالة، الوسيلة، المستقبل، التأثير.

ومن الواضح أن هذا النموذج يعاني من مشكلة منطقية واضحة إذ أنها تقدم الاتصال بصفته فعلا أحادي الاتجاه، يسير بطريقة أفقية أو خطية يتم خلالها نقل معلومات من مرسل إلى مستقبل عبر وسيلة مع غياب شبه تام للعنصر التفاعلي بين مكونات العملية الاتصالية.

لذلك تعرض هذا النموذج إلى انتقادات كبيرة من طرف العديد من الباحثين.

2.3 نموذج التأثير المحدود في الاتصال:

اما المرحلة الثانية فقد امتدت من الثلاثينيات إلى غاية الستينيات، والتي جاءت بالعديد من الدراسات بعد النموذج الخطي لتثبت أن هناك تباين في استقبال الرسالة والتأثر بها من طرف الجمهور، مما أضعف الاعتقاد المطلق بهذا النموذج، وعزز تيار جديدا متمثلا في أساسا في نظرية التأثير المحدود لوسائل الاعلام، حيث برزت العديد من النماذج في هذا التوجه والتي تحوَّل تركيزها من الحديث عن التأثر إلى الحديث عن عناصر أخرى في عملية الاتصال، أهمها:

- النماذج المركزة على المعنى: وهي النماذج التي اتخذت من المعنى الدلالي أو ما يسمى بترميز الرسالة من طرف المرسل وتفسيرها من طرف المستقبل متغيرا مهما ومؤثرا على العملية الاتصالية.

- النماذج المركزة على الجانب الاجتماعي: والخبرة المشتركة، انطلاقا من أثر العلاقات الاجتماعية ومدى الاتفاق أو التباين بين أفراد الجماعة الواحدة كونهم متلقين ينتمون إلى شبكة بناءا اجتماعيا معينا، والذي يلعب دورا في اتخاذ قراراتهم وتوجهاتهم تجاه الرسائل الإعلامية، ومن جهة أخرى وحسب "شرام" تلعب الخبرات المشتركة بين المرسل والمستقبل دورا هاما في نجاح العملية الاتصالية ووصول الرسالة.

- نموذج أو نظرية انتقال المعلومة عبر مرحلتين: وهو نموذج يكسر التأثر السلبي المباشر للجمهور بالرسالة الإعلامية، إذ يمر عبر قادة الرأي الذين يمتلكون من الخبرة القدر الكافي لإعادة صياغة الرسالة وتبسيطها للوصول إلى المستقبل.

- نموذج "ملتيزيك" والذي ركز على الأبعاد النفسية والاجتماعية ومدى امتلاك الوسيلة أو إمكانية امتلاكها من طرف المتلقي، ومدى تحكمه في الوسيلة وتعامله معها تحت مجموعة من الظروف (الوقت، المكان، المسافة، التكرار، والظروف التي يتلقى فيها المستقبل الرسالة) (الديلمي، 2016، صفحة 167)

3.3 النموذج التبادلي للاتصال

في خضم الانتقادات الموجهة للنموذج الخطي أضاف العديد من الباحثين عنصر التفاعل للعملية الاتصالية. على غرار الباحث "**بيرلو**" "**Berlo**"، و"**شرام**" "**schramm**"، حيث اعتبروا الاتصال عملية متكاملة يتبادل من خلالها المشاركون الآراء والمعلومات والأفكار.

إذ تجدر الإشارة إلى أن عملية الاتصال تنطوي على نسبة ممتازة من التفاعل والتبادل بين أطراف الاتصال، مما ينتج عنه نوع من التأثير وليس مجرد تقاسم معلومات او بيانات مجردة، وبالتالي فإن حياة العملية الاتصالية لها بداية ونهاية، تتمثل بدايتها برغبة المرسل بنقل الرسالة للمستقبل بهدف التأثير اعتمادا على حالة التفاعل التي تخلفها العملية الاتصالية. (العلاق، 2010، صفحة 7)

وعليه شكلت هذه الرؤية الجديدة تحولا في نماذج الاتصال من الرؤية الخطية إلى الرؤية التفاعلية، خاصة بعد التطورات الكبيرة التي شهدتها التقنيات الاتصالية، والمعلومات والبث الفضائي، (الموسى، 2010، صفحة 140/80/21) وظهور الأنترنيت وشبكات التواصل الاجتماعي، وصحافة المواطن أين انقلبت الأمور وأصبحنا بحاجة إلى صياغة نماذج جديدة تتماشى وطبيعة التقنيات الجديدة، وتتماشى أيضا وطبيعة المتصل الرقمي ومجتمع المعلومات والمعرفة.

فبعدما كان الاتصال حسب الباحثين عبارة عن عملية خطية فيها تنقل الرسالة من مرسل إلى مستقبل محدثة الأثر المرجو من طرف المرسل، تطورت العملية الاتصالية بفضل تطور تكنولوجيات الاتصال الحديثة وما تحمله من خصائص إلى نموذج دائري (تفاعلي، تكاملي)، أين تظهر بصمة عنصر التفاعلية في تكوين نموذج اتصالي يتماشى وطبيعة المستقبل الرقمي والوسيلة الرقمية المرنة التي تتميز بسرعة البث للمرسل والمستقبل.

المرونة التي تتميز بها الوسيلة سمحت بتبادل الأدوار بين المرسل والمستقبل من جهة، وسمحت أيضا بتنوع محتوى الرسالة واندماج معظم الأنواع في نفس الوقت من صوت وصورة وكتابة وموسيقى و...إلخ

المرونة في الوسيلة من جهة وانتشار المعلومات وسهولة الاطلاع عنها وتخزينها واسترجاعها والتحكم بها من جهة ثانية، واطلاع المرسل والمستقبل في غالب الأحيان على المعلومات والحقائق المتاحة من جهة ثانية، وتحكم المرسل والمستقبل في التقنية الحديثة للاتصال والمعلومات من جهة ثالثة، جعلت من العملية الاتصالية هي الأخرى مرنة ومتنوعة الأطراف والعناصر، حيث أصبح بإمكان المرسل أن يستخدم وسيلة أو تقنية اتصالية حديثة للاتصال بنفسه، بمعنى أنه يكون هو المرسل والمستقبل أي اتصال ذاتي كما سبقت الإشارة لكن هذه المرة باستخدام وسيلة اتصالية، والتي لم تكن متوفرة في الاتصال الذاتي التي تحدث عنه المفكرين المؤسسين لأدبيات الاتصال.

"تبدو إذا ضرورة إعادة النظر في المرجعية النظرية التي نستخدمها لفهم الاتصال، فإذا كانت وسائط الاعلام والاتصال تتغير فعلى الباحث أيضا أن يعيد التفكير في الأدوات التي يستخدمها لفهم هذا التغير، الذي فرض التحول على العديد من المستويات وأهمها التحول على مستوى الوظائف، إذ أن الوظائف الاجتماعية الموكلة لوسائط الاعلام وتقنيات الاتصال عموما تختلف كثيرا عن تلك التي تصورها الباحثون الأوائل، فوسائل الاتصال اليوم أصبحت تهم كل المجالات الاجتماعية، وكل أبعاد الفعل الاجتماعي." (الحمامي، 2007، صفحة 51)

تجدر الإشارة إلى أن الدراسات المبكرة في ميدان الاعلام والاتصال انطلقت من سؤال جوهري وهو: ماذا تفعل وسائل الاعلام بالجمهور، ليتحول السؤال مع بروز نظرية الاستخدامات والاشباعات إلى السؤال التالي: ماذا يفعل الجمهور بوسائل الاعلام؟ خاصة مع تطور الوسائل الاتصالية الحديثة وظهور الوسائط المتعددة والتملك الذي أظهره الجمهور في استخدامه لمختلف التقنيات الاتصالية وعلى رأسها الانترنيت وبالخصوص شبكات التواصل الاجتماعي التي أصبحت بسهولة استخدامها كثيرة الانتشار والاستخدام، وحولت المعلومات من منبر يحتكرها إلى شارع يتداولها، كلها عوامل وأخرى ساهمت في تغير النموذج الاتصالي من الخطي إلى الدائري، أين أصبح بإمكان المرسل والمستقبل تبادل الأدوار في توليفة جديدة

أتاحتها التقنيات الحديثة للاتصال الرقمي. وسنحاول التعرض لأهم العوامل التي أدت إلى التحول من النموذج الخطي إلى التفاعلي في العنصر الموالي.

4-نموذج الاندماج الاتصالي في الاتصال

4-1 عوامل تغير النموذج الاتصال

- **تطور البيئة الاتصالية** ويتمثل في واقع الاتصال في عصر تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الحديثة، حيث يرى الدكتور عزي عبد الرحمن أنه يمكننا التعرض في ميدان الاعلام والاتصال إلى النزعة الماكلوهانية، وإعادة صياغة بعض تقديماتها عن تحول أنماط الاتصال في التاريخ، فنقول أن الانسان انتقل من تعاقب وقائعه وأحداثه في مجال التقاط الاتصال بحاستي الأذن والعين (الاتصال الشفوي) إلى الاعتماد على حاسة العين (الاتصال المكتوب) ثم إلى مرحلة العودة إلى الاتصال الأول (الوسائل السمعية البصرية)، واستكمالا لهذه النزعة، من ذلك إلى الاتصال الأول والثاني معا (التفاعلي باستخدام الشبكات المعلوماتية، ومنها الأنترنيت)،

وفي مستوى آخر فإن هذا الانتقال كان من الاتصال الساخن إلى الاتصال البارد، ومن الثقافة الكتابية التي طبعت العديد من العصور وكانت حزاما ثقافيا لعدة أجيال وأنتجت المعرفة، إلى اتصال عالمي جديد أبهر العالم وغير من الانماط الاتصالية، وحول العالم إلى قرية عالمية؛ (عزي، 2003، صفحة 36)

وعلى مستوى آخر، فقد أفرزت التطورات الراهنة التي يعرفها قطاع تكنولوجيات الاتصال نمطا اتصاليا جديدا، يتميز بسمات تختلف عن الأنماط الاتصالية التقليدية التي سبقته، هذا النمط الاتصالي الذي تعددت الأسماء التي تطلق عنه: من الاتصال الرقمي إلى الاتصال الإلكتروني إلى الاتصال الوسيطي، يجمع كل من سمات الاتصال الشخصي المواجهي والاتصال الجماهيري، وله وسائله الاتصالية الخاصة به التي تشتمل على كل أشكال الاتصالات عن بعد والاتصالات الاستطلاعية، أما الاتصالات عن بعد فهي الاتصالات السلكية واللاسلكية، والتلغراف والهاتف والإذاعة واتصالات الحاسب الإلكتروني، الاتصالات الاستطلاعية كالإذاعة وعمليات مراقبة البيئة وألعاب الفيديو والحاسب الإلكتروني، ويطلق على هذه الوسائل وسائل الاتصال الوسيطة. (النجار، 2009، صفحة 506)

ويعتبر الاتصال الرقمي العملية الاجتماعية التي يتم فيها الاتصال عن بعد، بين أطراف يتبادلون الأدوار في بث الرسائل الاتصالية المتنوعة واستقبالها، من خلال النظم الرقمية ووسائلها، لتحقيق أهداف معينة، ويقوم التعريف على المحددات التالية:

إذا كان الاتصال الانساني في أشكاله التقليدية يوصف بأنه عملية تقوم على أساس الحركة والتدفق والاستمرار وتطور علاقاتها وعلاقات عناصرها ببعضها البعض، وتأثيرات السياق والبيئة الاتصالية التي تتم فيه العملية؛ فإن الاتصال الرقمي يزيد على ذلك بأن العلاقات ليست بين عناصر العملية فقط ولكنها بين عناصر النظم الرقمية التي تعمل على استمرار

الاتصال وتطوره؛ (تيليوي و عاشور زينة، 2013، صفحة 13) فالاتصال الرقمي أو الالكتروني يعتبر ثمرة من ثمرات مجتمع المعلومات، حيث تصنعه الأنترنيت والهاتف النقال بالدرجة الأولى

وانطلاقا من ذلك تكون فقط الخصائص التي تحملها تكنولوجيات الاتصال الحديثة هي وحدها إذا القادرة على تحويل العالم إلى قرية صغيرة. والتي على رأسها إشراك جميع الحواس في العملية الاتصالية حسب الباحث ""عزي عبد الرحمن وذلك قد يعود لمجموعة من الخصائص، وعلى رأسها التفاعلية وخصائص أخرى سنتكلم لاحقا

– التطور على مستوى الوسيلة:

يرى "**ماكلوهان**" أن الوسيلة أبلغ في أثرها من الرسالة انطلاقا من مقولته الشهيرة: «الرسالة هي الوسيلة»، حيث ركز على الدول الكبير الذي يلعبه الاعلام والاتصال في التغيرات الانثروبولوجية للمجتمع، بفضل الخصائص التكنولوجية التي تميز الوسيلة، خاصة الانترنيت بما تحمله من قدرات تأثيرية وإقناعية. (السعدي، 2019، صفحة 337)

–تحديد المستفيد: والمقصود بهذه السمة هو أن المعلومات التي سيتم تبادلها ستكون محددة الغرض، أي أن هناك درجة من التحكم في معرفة المستفيد الحقيقي من معلومات معينة دون غيرها.

الشيوع والانتشار: تتميز تكنولوجيات الاتصال والمعلومات الحديثة في غالبيتها بالعديد من الخصائص: مثل صغر حجمها وقلة تكلفتها مما يجعلها قابلة للانتشار بين جميع فئات المجتمع، بطبقاته المختلفة، وفي كل دول العالم المتقدم أو النامي، وهذا ما يجعلها ربما تدخل في إطار الممارسات اليومية لأفراد المجتمع.

– قابلية التحرك والحركية: أي انه يمكن تبادل المعلومات بين المرسل والمستقبل بالرغم من تحركهما أو تنقلهما، وذلك بفضل اجهزة صغيرة قابلة للحمل والتحرك مثل الهاتف النقال، وهاتف السيارة، والتلفاز المدمج في ساعة اليد، وجهاز الفاكس الذي يمكن استعماله في السيارة، وكذلك الحاسب الالكتروني المحمول والمزود بطابعة.

– قابلية التوصيل: فعلى الرغم من اختلاف مصنعي بعض الأجهزة الالكترونية إلا أنه يمكن تناقل المعلومات بينها وبين المستفيدين، وذلك بفضل توحيد صناعة الأجزاء المختلفة من طرف الشركات المصنعة لها، مما أدى إلى ظهور وانتشار تقنيات وتعزيز التبادل بين النسخ ورقية والنسخ الرقمية.

– المرونة: تتميز الوسيلة الاتصالية بالمرونة وسهولة الحمل وسهولة نقلها، ونفس المرونة يتميز بها المحتوى الإعلامي الرقمي العابر للقارات، متحديا القيود الزمانية والقانونية.

–ظهور وتنامي مواقع التواصل الاجتماعي: التي تمثل منبر تواصليا اجتماعيا يلعب فيه الجمهور دور المنتج والمستهلك في نفس الوقت للرسائل الإعلامية.

– التطور على مستوى الرسالة: تتميز الرسالة في عصر الاتصال الرقمي بالعديد من الخصائص أهمها:

– الوفرة والمجانية: بعد أن كانت المعلومة حكرا على جهات سياسية واقتصادية معينة توظفها كيفما تشاء، أصبحت المعلومة متاحة للجميع وبالمجان، وفي جميع الصيغ المكتوبة أو السمعية، أو السمعية البصرية، مع سهولة ومجانية الوصول إليها.

– تحديد المستفيد: والمقصود بهذه السمة هو أن المعلومات التي سيتم تبادلها ستكون محددة الغرض، أي أن هناك درجة من التحكم في معرفة المستفيد الحقيقي من معلومات معينة دون غيرها.

– العالمية أو الكونية: أي أن التواصل اليوم أصبح كونيا، فتناقل المعلومات وتبادل الخبرات أصبح ممكنا على المستوى الكوني، (النجار، 2009، صفحة 506) فالمعلومة اليوم وبفضل العديد من التقنيات والتكنولوجيات أصبحت تتعدى الحدود الجغرافية والقانونية والزمانية لتصل من أي متصل في أي قطر من المعمورة لمستخدم آخر في أي قطر مهما بعد واختلف. فمحتوي الاتصال أصبح اليوم كوني، والمتصل أصبح هو الآخر كوني وحتى الثقافة التي يكتسبها الأفراد أصبحت بدورها كونية أو عالمية.

– قابلية التحويل: وهي إمكانية نقل المعلومات من وعاء لآخر، فعلى الرغم من تعدد الأوعية المعلوماتية إلا أنه يمكن تحويل المعلومة من وعاء لآخر بكل سلاسة، إضافة إلى إمكانية الترجمة الآلية أي تحويل النصوص من لغة إلى أخرى.

– اللّاتزامنية: والمقصود بها أن عملية الاتصال لا تستلزم وجود أطرافها في نفس الوقت، وذلك بفضل خاصية التخزين التي تتميز بها هذه التكنولوجيات المعلوماتية الحديثة، مما يكسبها أهمية كبيرة في تيسير عملية الاتصال.

– **التطور على مستوى الجمهور (الجمهور الرقمي)** جمهور الأنترنيت خاصة اليوم أصبح ينتج وينشر المعلومة ويشاركها مع غيره، بصفة مجانية كما يمتلك القارئ المحرر القدرة على تحرير المواد، ويمتلك كذلك القدرة على فعل ذلك طوال الوقت (ليفنسون، 2015) (أصبح الجميع منتج وناشر للمحتوى)

– المستقبل هو نفسه المرسل من منطق تبادل الأدوار

– التطور على مستوى المرسل:

– يظهر دور المرسل في الاعلام التقليدي بشكل واضح، بينما هذا الدور غير واضح في عصر الاتصال الرقمي ووسائل الاعلام الجديد، إذ أن مساحة الحرية التي يمتلكها أكبر، ومجالات التعبير أوسع، نظرا لتراجع دور السلطة السياسة والاقتصادية في التحكم بالمضامين (السعدي، 2019، صفحة 337)

المرسل اليوم أصبح مرسلا رقميا، المعلومات متاحة له في معظم الأحيان بالمجان، ويمتلك مختلف التقنيات الاتصالية للوصول لها في أي صيغة كانت سواء مكتوبة أو مصورة أو كلاهما معا. القائم بالاتصال اليوم أصبح مدججا بالإمكانات التكنولوجية والتسهيلات القانونية التي تسهل مهمته في الولوج للمعلومة ومعالجتها ونشرها والتفاعل مع جمهوره.

– التطور على مستوى درجة ونوعية التفاعل وظهور ما يسمى بالتفاعلية

وتعني تبادل الأوار بين المرسل والمستقبل في العملية الاتصالية. وذلك بفضل الميزة الاجتماعية التي اكتستها خاصة مواقع التواصل الاجتماعي. إذ الجمهور لا يضع منشورات أو تغريدات فقط بل هو يتفاعل مع منشورات وتغريدات الآخرين من خلال التعليق أو ترك الانطباعات واستخدام الرموز التعبيرية المختلفة.

كما أضافت التطورات التكنولوجية في عصر مجتمع المعلومات مبدأ التفاعلية، وفاعلية المستقبل ونجاعته في حياكة الخبر ورسم ملامحه النهائية، بمعنى "المستقبل النشط والفاعل والمتفاعل" كمفهوم جديد للمتلقي كرّسته فلسفة التقنيات الحديثة للإعلام والاتصال في إطار مجتمع المعلومات. (السنوسي، 2010، صفحة 2)

– التطور على المستوى الوظيفة إذ اكتسى الاعلام والاتصال مجموعة من الوظائف التي تتماشى وصيغته الرقمية الحديثة أهمها:

–الوظائف التواصلية والاجتماعية: أكثر وظيفة يمكننا القول بأنها غيرت ملامح وسائل الاعلام والاتصال هي الوظيفة الاجتماعية التواصلية، وذلك بفضل الانترنيت وعلى الخصوص شبكات التواصل الاجتماعي، التي عززت التفاعل الشبهي على حساب التفاعل الاجتماعي الحقيقي.

1–إنتاج المعرفة الاجتماعية: تتمثل هذه الوظيفة في كون الإعلام أداة أساسية يتم من خلاله إنتاج المعرفة الاجتماعية واستهلاكها، وهي بذلك تكون مسؤولة عن تجهيز القاعدة التي تبنى عليها الجماعات والطبقات)

2–تحقيق التعددية: في هذه الحدود، فهي إذن تعكس وتسهم في تحقيق التعددية التي يتصف بالمجتمع المعاصر.

3–بناء الثقافة العامة للمواطنين: يقوم الإعلام بدور أساسي في بناء الثقافة العامة للمواطنين، وهذا ما يدعو إلى تأكيد دوره في إعادة بناء القيم المساندة للتطوير والتحديث، كقيم المساواة والقبول بالآخر وكذلك الاختلاف معه جنباً إلى جنب (الموسى، 2010، صفحة 09)

4– إنتاج الصور الذهنية : وتقوم وسائل الإعلام بدور مهم وجوهري في المجتمع، ويحصل الفرد على المعلومات والآراء والمواقف من هذه الوسائل التي تساعده في تكوين تصور للعالم الذي يعيش فيه،

5–وظيفة التعليم والتعلم: حيث فتحت مختلف مواقع التواصل الاجتماعي الباب واسعا أمام المعلمين في مختلف الميادين والمهن واللغات والمقررات الدراسية خاصة، أمام مجانية صياغة الفيديوهات وعرضها مسجلة أو على المباشر، بل وأصبحت تلك المواقع مصدر ربح للعديد من صناع المحتوى، بالمقابل وجد أفراد الجمهور على اختلاف مستوياتهم واهتماماتهم إشباعا لحاجاتهم ورغباتهم في التعلم وتحصيل المعلومة المجانية طبعا في معظم الأحيان، وهذا ما يعكسه تنامي الفيديوهات التعليمية من جهة، وزيادة جمهورها من المشاهدين والمشاركين والمتفاعلين من جهة أخرى، بل وأصبحت تلك الفيديوهات مصدرا أساسيا للتعلم على جميع مستوياته.

6-تعزيز الديمقراطية والمشاركة السياسية: خاصة مع ظهور الانترنيت ووسائل الاعلام الجديدة التي تتميز بقدرة فائقة على تخزين واسترجاع ونشر واستقبال المعلومة، بأقل التكاليف مما يجعلها عنصرا فاعلا في الحياة السياسية والقرارات الحكومية. (سماح، فرج، و وآخرون، 2013، صفحة 18/17)

-التسويق السياسي: حاليا وبفضل سرعة توزيع المعلومة باستخدام الواب زاد التفاف الأحزاب السياسية ورجال السياسة بتقنيات التسويق السياسي الالكتروني في حملاتها، هذه التقنيات التفاعلية التي غيرت من طبيعة المنافسات السياسية (DOSQUET، 2012، صفحة 250)

-التأثير على النظم السياسية: فقد أصبحت وسائل الإعلام في جميع البلدان تشكل جزءا لا يتجزأ من العملية السياسية سواء في عملية الشرعنة أو التسيير أو الوصول إلى السلطة

وظيفة توجيه سلوك المتلقين والتأثير فيهم: فبعد الاندماج بين تكنولوجيا الاتصال والمعلومات أصبحت تلعب دورا كبيرا في توجيه سلوك المتلقين والتأثير فيهم، وعملية التأثير والتأثر هذه تعتبر شيء مركب إذ تتداخل فيه العديد من العوامل مثل شخصية الانسان وبنيته الاجتماعية، وتشكيله الثقافي، ونفوذ قوى الضغط الاجتماعي في المجتمع (الرفاعي، 2011، صفحة 734)

2.4 مفهوم نموذج الاندماج الاتصالي

انطلقت دراسات الاعلام والاتصال كما أسلفنا الذكر من السؤال الرئيس: ماذا تفعل الوسيلة بالجمهور؟ في نظرة سحرية لتأثير الوسيلة الإعلامية على جمهورها، وفي مرحلة ثانية تم تسقيف التأثير السحري بإدراج العديد من الباحثين لمجموعة من المؤثرات التي تساهم في تحديد درجة تأثر الجمهور بالرسالة الإعلامية كمرحلة انتقالية، ثم في مرحلة جديدة تغيرت وجهة الدراسات الإعلامية تماما، إذ أصبح السؤال منطلق الدراسة هو: ماذا يفعل الجمهور بالوسيلة؟

وفي مرحلة أصبح الجمهور هو الذي يختار المحتوى الذي يشبع حاجاته، وهو من يستخدم الوسيلة وليس العكس، هو من يصنع المحتوى ويستهلكه، وفي مرحلة توفرت مجموعة من العوامل سبق الحديث عنها وأخرى لم يسع المجال لذكرها، في مرحلة أصبحت التفاعلية تمثل التوافق والتجانس التقني بين عناصر العملية الاتصالية مما يسمح باندماجها مع بعضها. توجب صياغة نموذج اتصالي حديث يتماشى والطبيعة الاتصالية الرقمية التي نعيشها في هذا العصر.

وفي هذا السياق تكاثفت الجهود من طرف العديد من الباحثين لإيجاد نموذج اتصالي بإمكانه احتواء التغيرات والتطورات التي تعيشها البيئة الاتصالية الحديثة خاصة القاعدة الشبكية للاتصال والتي أسستها الأنترنيت.

لشكل 1: الاتصال الشبكي

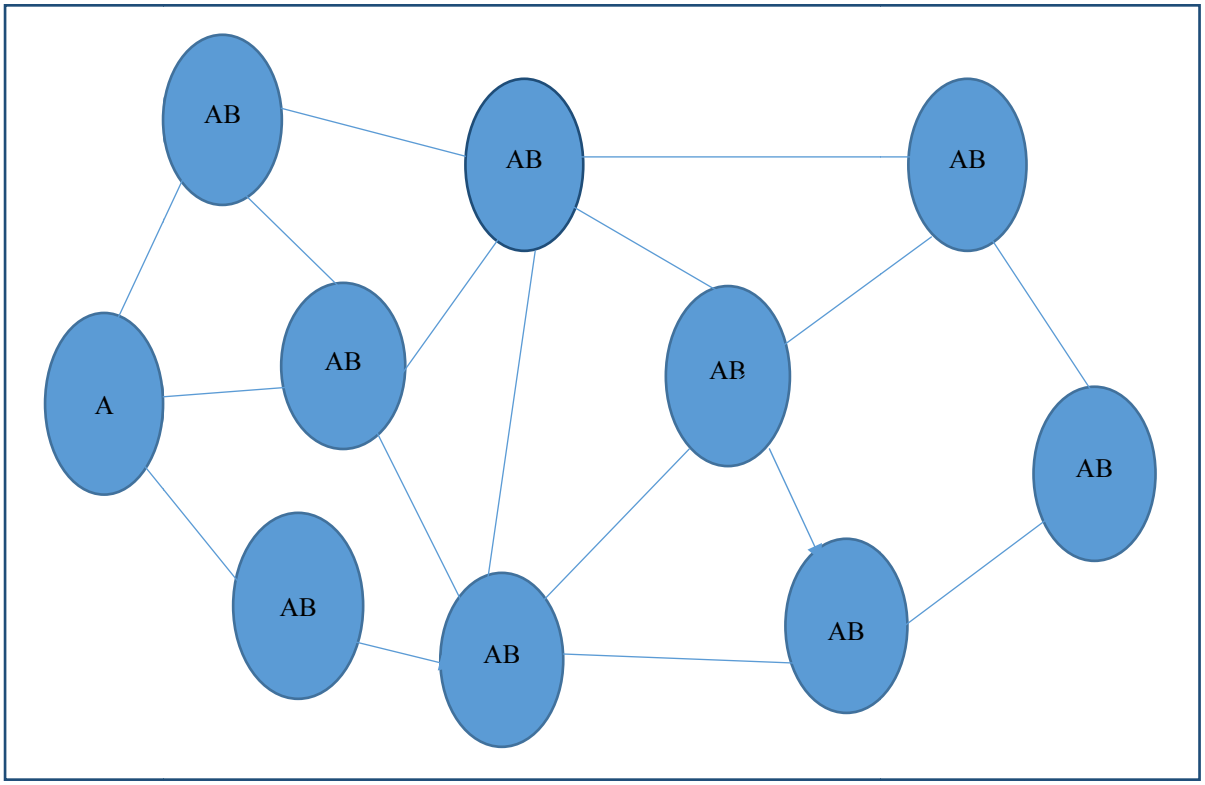

المصدر: السعدي مؤيد، 2019، ص 337

يمثل الشكل رقم 01 مخططا تمثيليا للاتصال الشبكي والذي جوهره أن كل نقطة في الشبكة يمكنها أن ترسل مضامين وتستقبلها في توليفة اتصالية مستمرة كما هو موضح في الشكل بحث يتفاعل العنصر(A) مع العنصر (B) عند ارسال محتويات إعلامية، مما ينتج عنه مستخدم (AB) الذي يمثل مدمجا اتصاليا داخل الشبكة الاتصالية، اعتمادا على علاقة نسيجة أساسها "التفاعل الآني" الذي يختزل الزمان والمكان، بفضل السرعة في تنقل المعلومات والبيانات، وكلما كانت السرعة أكبر كلما ازداد تلاصق مكونات العملية الاتصالية. (السعدي، 2019، صفحة 337)

وعلى هذا الأساس يبنى نموذج الاندماج الاتصالي.

مفهوم النموذج الاندماجي: يبنى هذا النموذج من فكرة تداخل عناصر العملية الاتصالية، والذي يحدث انطلاقا من عامل السرعة في الاتصال الذي تولد عن التطور التكنولوجي لتقنيات الاتصال، وعنصر السرعة في الاتصال هو العنصر الذي حول النموذج الاتصالي من تبادلي دائري إلى تكاملي.

الشكل 2: الاتصال الشبكي

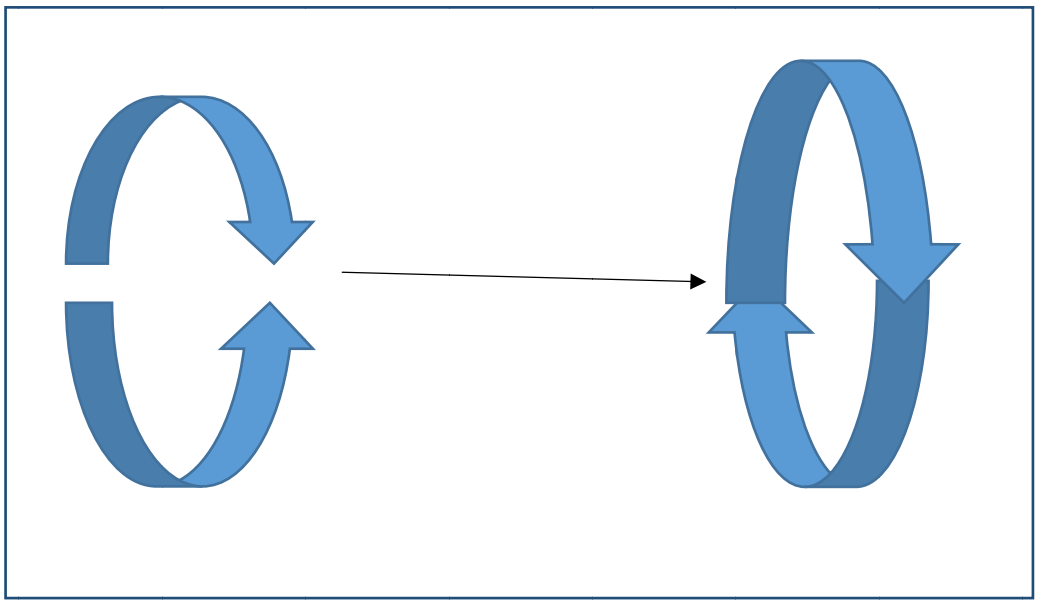

المصدر: السعدي مؤيد، 2019، ص 337.

ويوضح الشكل رقم (02) أنه في النموذج الدائري أو التبادلي الرسالة تأخذ وقت لتقطع المسافة من أ إلى ب، بينما في النموذج التكاملي تنعدم تقريبا المسافة الزمنية لتصبح أ هي ب، وب هي أ وهكذا، وهذا ما يميز النموذج التكاملي في الاتصالي. جاء بالعديد من المصطلحات المفتاحية لفهمه وهي كالآتي:

- التبادلية والاندماج والتي سبق شرحها بالمخطط.

- الزمن في الاندماج الاتصالي: والذي يلعب الدور الحاسم في تحويل عملية التبادل التي تميز النموذج الدائري، إلى تكامل واندماج في نموذج الاندماج الاتصالي، كلما زادت سرعة ارسال واستقبال الرسالة كلما زاد الاندماج.

- الاندماج الاتصالي وشبكات التواصل الاجتماعي: هذه الأخيرة التي غيرت مفهوم الجمهور والوسيلة، فبعدما كانت الوسيلة تصنع الجمهور في وسائل الاعلام التقليدية، أصبح اليوم الجمهور هو الذي يصنع الوسيلة ويحافظ على ديمومتا خاصة مواقع التواصل الاجتماعي منها. بالإضافة إلى متغيرات ومفاهيم أخرى جاء بمها النموذج الجديد (الفضاء العام، تعبئة الرأي العام، الصداقات الالكترونية، الهوية الالكترونية، الثقافة الكونية...) (السعدي، 2019، صفحة 339)

أسس نموذج التكامل أو الاندماج الاتصالي:

قبل الحديث عن أسس الاندماج الاتصالي لا بد من الإشارة إلى ظاهرة اتصالية لعبت دور كبير في بلورة هذا النموذج، وهي "الاندماج الإعلامي" الذي كان نتيجة حتمية لتنامي شبكات التواصل الاجتماعي ومختلف تقنيات الاتصال

والمعلومات و الذي عرفته الموسوعة البريطانية كالتالي: "الظاهرة التي تعبر عن الترابط بين تقنية المعلومات والاتصالات، وشبكات الحاسب والمحتوى الإعلامي في نتيجة مباشرة لرقمنة المحتوى وانتشار الانترنيت، وبما أحدث تغيرات دراماتيكية في الصناعة والخدمات. وممارسات العمل القائمة، إلى جانب ظهور أنماط جديدة من المحتوى، وهي التحولات التي انطوت على تحديات وأبعاد تقنية وصناعية واجتماعية وسياسية" (عبد الفتاح، 2016، صفحة 15)، مماساهم في تجلي ملامح نموذج اتصالي حديث يبنى على العديد من الأسس أهمها ما يلي:

1-المجال العام الافتراضي: الذي يساهم في الاندماج بين عناصر العملية الاتصالية بفضل المرونة التي يتميز بها والتي تمكنه من استيعاب كل التفاعلات الاتصالية داخل الشبكة، إضافة لتميزه بالتواصلية التي تضمن الاستمرارية للأفراد المتواصلين شبكيا في كل الأوقات، كما يتميز المجال العام الافتراضي باللامركزية والتشاركية التي تربط المستخدمين وتمثل الهيكل الشبكي للمجال العام

2-المجال الخاص: وهو الحيز الخاص بالمستخدم نفسه، ومحيط اهتماماته، ومجالات أفكاره واستعداداته التواصلية العلائقية مع باقي المستخدمين الشبكيين. ويتميز بالفضول المبني على الرغبة في الاطلاع، وتنوع الميادين المتوفرة وإمكانية توسيعه، ويعطي للمستخدم الحرية في الإفصاح عنن شخصيته الحقيقية أو التخفي وراء أسماء مستعارة، أو تقمص شخصيات خيالية.

3-زمن الاتصال: يعتبر الزمن عاملا مهما في اندماج الفضاء العام والفضاء الخاص، حيث أن زمن الاستخدام الذي هو زمن الاندماج الاتصالي يمثل زمن المجال العام

4-سرعة الاتصال: سواء الاتصال العام والقصود به الاتصالات الشبكية بصفة عامة، أو السرعة الخاصة وهي سرعة تفاعل وتواصل المستخدمين، مما يسهل التواصل والتفاعل، ويعزز الاندماج.

5-المرسل: الذي أصبح حسب هذا النموذج يملك العديد من المهارات والقدرات على استخدام مختلف التكنولوجيات والإلكترونيات وتوظيفها لتقديم مضامين معينة مختلفة الصيغ (مكتوبة، سمعية، سمعية بصرية.) مما يعزز التواصل والاندماج بين المرسل والوسيلة والرسالة والمستقبل.

6-المستقبل: في نموذج التكامل الاتصالي قد بكون المرسل هو نفسه المستقبل، ويمثل حالة التشارك في المضمون الاتصالي. وقد ينتقل المستقبل إلى مرسل لأن الهدف هم التشاركية وهذا ما يعزز الاندماج.

7-المحتوى التواصلي الشبكي: وهو المضامين الاتصالية التي يتم تشاركها عبر مختلف مواقع الاتصال الشبكي، والتعليق عنها نظرا لما يتميز به من إثارة، وفاعلية في التغير وسرعة في الوصول. (السعدي، 2019، صفحة 339)، وقد تميز المحتوى الشبكي بالمرونة نتيجة تدخل التقنيات الحديثة للمعلومات في تسجيل المعلومات، وتخزينها، واسترجاعها في الوقت المناسب

وبسرعة وسهولة، بحيث أصبح هناك تقنيات تتلقى الإشارات وتترجمها وترد عليها بسرعة تساوي سرعة الضوء . (علم الدين، 1990، صفحة 51/50)

8-مواقع التواصل الشبكي: هي مواقع إلكترونية ذات طابع اجتماعي تواصلي تتميز بالقابلية للتجديد والتطوير باستمرار وذلك بفضل المستخدمين أنفسهم. وعلى رأسها موقع فيسبوك، التويتر، الانستاغرام، اليوتيوب....

9-المستخدم: يعتبر المستخدم العنصر الجوهري لاندماج عناصر العملية الاتصالية، ويمثل نقطة التقاطع بين مختلف العناصر وهو سر الاندماج في هذا النموذج.

وظائف نموذج الاندماج الاتصالي

1-يعطي تفسيرا جديدا للعلاقة بين مختلف عناصر العملية الاتصالية ذات الطابع الاندماجي.

2-يركز على المستخدم كونه أساس الاندماج.

3-يعطي تصورا للعلاقة بين سرعة الزمن التواصلي والتكامل الاتصالي.

4-يفسر العلاقة بين المجال الخاص والمجال العام.

5-يميز بين نوعين من الاندماج الكلي والجزئي والذي يحدد درجة فاعلية المستخدم، بحيث كلما كانت سرعة الاتصال عالية كان الزمن الاتصالي قليل وكان حجم الاندماج الاتصالي كبير، بحيث يصعب التمييز بين عناصر العملية الاتصالية، ويكون هنا حجم المستخدم كلي، حيث يمثل وبصفة تامة كل عنصر من عناصر العملية الاتصالية. (السعدي، 2019، صفحة 339)

4. خاتمة:

ما يمكننا استخلاصه في الأخير من هذه الدراسة، هو أن الدراسات في ميدان الاعلام والاتصال لطالما ارتبطت بطبيعة المجتمع وطبيعة الوسيلة الإعلامية، والأثر الذي تتركه الرسالة بين أفراد الجمهور المستقبل لها، فكانت في البداية تعكس حالة الانبهار بالوسائل الإعلامية التي شكلت عاملا سحريا يؤثر بصفة مطلقة على الجمهور، ومن هذا المنطلق ظهرت نظرية القذيفة السحرية التي كرست فكرة التأثير المطلق وسلبية الجمهور المستقبل، منطلقة من سؤال جوهري مفاده: ماذا تفعل الوسيلة بالجمهور؟ ممثلة بذلك النموذج الخطي للاتصال.

ولكن سرعان ما دحضتها العديد من الدراسات التي شكلت نقطة تحول في التأسيس لعلوم الاعلام والاتصال بإضافتها للعديد من المتغيرات الاجتماعية والنفسية التي تتحكم في عملية الاستجابة للرسائل الإعلامية والتأثر بها، ثم انتقل التساؤل من ماذا تفعل الوسيلة بالجمهور؟ إلى ماذا يفعل الجمهور بالوسيلة؟ انطلاقا من نظرية الاستخدامات والاشباعات،

فتغير الحكم بالسلبية على الجمهور إلى عنصر إيجابي وفعال في العملية الاتصالية، لديه حاجات ورغبات ينتقي ما يشبعها من محتويات مختلفة.

وبناءا عليه ظهر النموذج الدائري (التبادلي أو التفاعلي) أين أصبح الجمهور يساهم في صناعة الرسالة الإعلامية بفضل رجع الصدى وتمكن المرسل من الاطلاع على رغباته وصياغتها في محتويات تتلاءم معها.

لكن مع ظهور الانترنيت ومواقع التواصل الاجتماعي، تغيرت المفاهيم واكتست مختلف عناصر العملية الاتصالية خصائص رقمية وإلكترونية حديثة، إضافة إلى تدخل العديد من المتغيرات على غرار: التفاعلية والسرعة، والزمن الذي قلل الفارق الزمني بين بث الرسالة واستقبالها، وإعادة إرسالها أو التفاعل معها، مما أدى إلى الاندماج بين مختلف عناصرها بفضل الخصائص التي أصبح يتميز بها المستخدم الذي اعتبر الناتج الأساسي في عملية الاندماج.

هنا انتقل النموذج الاتصالي من النموذج الدائري، أو نموذج تبادل الأدوار إلى نموذج الاندماج الاتصالي، الذي يعطي تفسيرا جديدا للعلاقة بين مختلف عناصر العملية الاتصالية ذات الطابع الاندماجي، وقد ارتبط بصفة كبيرة بالسرعة في بث واستقبال الرسائل إذ كلما زادت هذه السرعة زادت وتعززت نسبة الاندماج، ويعتمد هذا النموذج على العديد من الأسس التي ظهرت في شكل مصطلحات جديدة لم يظهر معظمها في النماذج السابقة مثل: المجال العام، المجال الخاص، الزمن، سرعة الاتصال، الاتصال الشبكي، المحتوى الشبكي التواصلي، شبكات التواصل الاجتماعي، كما يعتبر المستخدم حسب هذا النموذج الاتصالي: العنصر الجوهري لاندماج عناصر العملية الاتصالية، ويمثل نقطة التقاطع بين مختلف العناصر وهو سر الاندماج في هذا النموذج الذي عادت نتائجه على جميع المستويات الاتصالية والاجتماعية، والأكاديمية، وغيرها، لذلك يحتاج حقل علوم الاعلام والاتصال في الوقت الراهن إلى دراسات تفسيرية جديدة تعتمد على مناهج وأدوات تتماشى والتوليفة الاتصالية الراهنة، تختلف تماما عن تلك التي طالما اعتمدها البحث العلمي في الميدان.

5. قائمة المراجع:

- المؤلفات:

– الديلمي عبد الرزاق ، نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، (عمان 2016)؛

– السعدي مؤيد ، الاندماج الاتصالي في الإعلام الجديد، منشورات ألفا للوثائق (قسنطينة، الجزائر 2019)؛

– العلاق،بشير نظريات الاتصال مدخل متكامل، اليازوري العلمية للنشر والتوزيع،(عمان 2010)؛

- الأمرة سماح وفرج عبد الفتاح وآخرون، تحرير وتقديم عبد الإله بلقزيز، الاعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم، ط1، سلسلة كتب المستقبل العربي ع 69، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013؛

-بن ناصر أحمد الموسى. *استخدام الاتصال التسويقي المتكامل في الشركات السعودية*. سلسلة الرسائل الجامعية، مكتبة الملك فهد الوطنية، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية عمادة البحث العلمي، السعودية، 2010)؛

-عبد الفتاح فاطمة الزهراء، الاندماج الإعلامي وصناعة الأخبار، العربي للنشر والتوزيع، مصر 2016؛

- عزي عبد الرحمان ، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز ، سلسلة كتب المستقبل العربي، ع 28.مركز دراسات الوحدة العربية.(بيروت لبنان 2003)؛

- علم الدين محمود ، تكنولوجيا المعلومات وصناعة الاتصال الجماهيري، العربي للنشر والتوزيع، (القاهرة، 1990)

- ليفنسون بول ، أحدث وسائل الاعلام الجديدة، ترجمة هبة ربيع، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، 2015؛

- DOSQUET, F. marketing et communication politique théorie et pratique, colection question de société, ems management et société, France, 2012.

- المقالات:

- الرفاعي محمد صلاح، دور الاعلام في العصر الرقمي في تشكيل قيم الأسرة العربية، دراسة تحليلية. مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 27، ع 1+2، 2010؛

- الحمامي الصادق، المجال العربي، إرهاصات نموذج تواصلي جديد، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان. 2007؛

- العتيبي محمد سعود، نمط الاتصال السياسي داخل الأسرة السعودية محدداته ونتائجه، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، مج 27، ع1، السعودية، 2010؛

- بن ضياف نادية بن وزعموش، مهارات الاتصال لدى المدرس. مجلة التربية، عدد 167، اللجنة الوطنية القطرية للتربية، 2008.

- قبايلي عمر، مكانة وسائل الاتصال الحديثة في الجزائر مقاربة أنثروبولوجية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية؛ مج2، ع1، 2010؛

- عزي عبد الرحمان، الثقافة وحتمية الاتصال، نظرة قيمية. مجلة المستقبل العربي، المجلد 26، عدد 295، سبتمبر 2003؛

االمداخلات:

-السنوسي ثريا، الاتصال التفاعلي والشباب في تونس، الملتقى الدولي حول الشباب والاتصال والميديا، 2010، معهد الصحافة وعلوم الإخبار، تونس

- الموسى عصام سليمان، العرب وثورة الاتصال المعاصرة، الاعلام العربي على مفترق طريق، أبحاث المؤتمر الدولي، الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة..لعالم جديد، 9/7 أفريل 2009، جامعة البحرين، ملكة البحرين.

- النجار حسن رضا، تكنولوجيا الاتصال..المفهوم والتطور، أبحاث المؤتمر الدولي، الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين،9/7 أفريل 2009، مملكة البحرين؛

- تيليوي عابد وعاشور زينة، أفراد الأسرة الجزائرية في عصر العولمة بين الاتصال والعزلة، الملتقى الوطني الثاني حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة، 10/09 أفريل 2013، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، الجزائر؛

- مواقع الانترنيت

- Jacques-Emile Bertrand Psychologie de la communication, Théorie et pratique La source : https://www.yumpu.com/fr/document/view/13423094/psychologie-de-la-communication-jacques-emile-bertrand-jeb

نسخة pdf